شمعون بلاّص: الحاضر – الغائب في الثقافة الاخرى

حاوره وقدّم له: محمد حمزه غنايم

كتب شمعون بلاّص في عام ١٩٦٤ الرواية اليهودية – العربية الأولى عن تجربة العيش في مخيمات المهاجرين من الدول العربية، مستخدماً اسماً شائعاً من تلك الأيام: «المعبَراه»، أي مخيم القادمين الجُدد، عنواناً لها. وعلى رغم أن حياة المخيم في سنواته الأولى في البلاد لم تكن لتدوم أكثر من ثلاث سنوات، إلا أنه ظل ناطقاً مركزياً باسمها حتى يومنا هذا. كانت السنوات العشر، الممتدة بين الإنتفاء الجماعي عن الوطن الأول وانتفاء الأنا الإبداعية عن نسيجها العام، لكتابة الرواية الأولى عن تجربة العيش في المنفى الجديد، كافية لكي تجعل بطله الرئيسي، في أول إنتاج أدبي يصدر بالعبرية في البلاد لكاتب يهودي مهاجر من العراق، ينطق بالكلمات التالية: «أحمل المعبَراه معي حيثما أذهب، وسأحملها مدة طويلة من الزمن، قد تطول للأبد».

هكذا كان أيضاً بطله، يوسف شابي، نائب مدير المدرسة الوحيدة في حي «هتكفا»، والمهاجر من العراق في عملية «عزرا ونحمياه»، الذي صار طالباً في الجامعة، ويكتب اطروحة جامعية عن «التعددية الثقافية في إسرائيل». ومثله شمعون بلاّص، الذي وصل إلى البلاد قادما من العراق قبل ثمانية وأربعين عاماً، في إطار موجة الهجرة اليهودية الجماعية من الدول العربية

إلى فلسطين، بعد النكبة بثلاثة أعوام. وعلى رغم انقضاء نصف قرن تقريباً على تلك الهجرة، التي تسنت له ولغيره من يهود العراق بفضل قانون إسقاط الجنسية عن اليهود في عهد نوري السعيد، ما زال بلاّص يراوح فوق نفس «الأرضية الملتهبة» على حد تعبيره، التي حطّ فوقها منذ تلك الأيام، ولا يجد فيها حتى اليوم ضالته في سؤال الهوية الصعب: من أنا، ومن الآخر، ولماذا هذا الإنشطار بين وطنين ولغتين وهويتين، ومتى تصل ازدواجية الأنا المبدع نهايتها، وكيف؟

يحمل بلاّص هموم انشطار ثقافي ولغوي وإنساني، يحضر بقوة في شخصية هذا «اليهودي – العربي» الذي يطيل الوقوف في نفس المفترق الفاصل الذي وصله منذ خطا خطواته الأولى في هذا المكان، ولا يتوصل إلى الإجابات التي يبحث عنها منذ خمسين عاما، أيامَ كان يحلم بالسفر إلى باريس، لكنه بدلاً من ذلك وجد نفسه في «معبرة» المهاجرين اليهود في المجدل؛ مجدل الفلسطينيين من تلك الأيام.

خلّدت رواية بلاّص الأولى تجربة «المعبراه»، باعتبارها فصلاً رهيباً في حياة «نصف الإسرائيليين» من الطوائف الشرقية، ما زال يتلبَّسهم حتى اليوم. منذ تلك الرواية، كتب بلاّص عشرات النصوص الابداعية والأبحاث الأدبية، وبضمنها عدد من الروايات، والمجموعات القصصية، والترجمات، فيها يتغيّر الأبطال وتتبدّل الحيل الروائية والأزمان. وبعد أن كانت تل أبيب مسرحاً لروايته الأولى، صار أبطاله يتنقلون بين اللد وباريس، والقاهرة والإسكندرية، بل إن بعضهم عاد إلى بغداد الثلاثينات. لكن عنصراً واحداً لا يتغير لدى بلاّص: الغربة أو – بلغته هو – «الاستلاب». أبطاله أشخاص وحدانيّون معزولون في أماكنهم، متمردون على مجتمعاتهم، ومختلفون. «بشر، ليسوا ككل البشر»، بلغة أحد النقّاد العبريين. وعلى رغم الجذور الطائفية الواضحة لأبطاله، إلا أن قضيته الادبية ليست كذلك. فهو يبحث عن المختلف والبعيد، مضفياً، باشتغاله بهذه المواد الأدبية، شرعية على تأسيس النص الروائي على القضايا العالمية الكبيرة، ومشاكل الانسانية المعذبة. ومن بطله الأدبي، مواطن العالم كله، يعود بلاّص إلى كتابة البطل الـ«سولو»، المعزول عن الناس، والمرفوض في محيطه الواسع، والذي يعاني من ازدواجية ثقافية، فهو، عملياً، «لاجىء» في الوطن.

«يعترف« بلاّص، في حديث مُطوّل معه جرى في بيته بتل أبيب، أن شخصياته متأثرة بوضعيته المتميزة داخل المجتمع الكبير، فهو الآخر يملك هويتين ثقافيتين: ترعرع عراقياً يتحدث العربية، ولكنه – بعد هجرته للبلاد – وقف وحيداً أمام إلحاح الإندماج في المجتمع الجديد، الذي أوصله لأن يتخذ، وحيداً ايضاً، قرار الانتفاء المتجدد إلى اللغة الأخرى، الجديدة: اللغة العبرية.

كتب بلاّص مجموعة كبيرة من الروايات، جميعها بالعبرية، وترجم بنفسه بعض إنتاجه

القصصي للعربية، وعمل على نشره (له مجموعة قصصية مترجمة للعربية بعنوان «نذر الخريف»، صدرت في ألمانيا عام ١٩٩٣، ومجموعة أبحاث بعنوان «الأدب العربي والتحديث الفكري»، صدرت في ألمانيا في نفس السنة، عن الدار ذاتها، وترجم زكي درويش عن العبرية كتابه الموسوعي المتميز «الأدب العربي في ظل الحرب»، وصدر في شفاعمرو في العام ١٩٨٤).

يؤسّس نص بلاّص الإبداعي لوناً أدبياً متميزاً في النسيج الثقافي العبري الواسع، يحمل حنيناً كبيراً إلى وطنه الأول، العراق، متحركاً – بحكم كونه كذلك – داخل دوائر الإبداع الضيقة التي يبدع هو وزملاؤه من الكتاب اليهود – العرب داخلها، وإن كان الوحيد بينهم الذي يعترف بهذه الصفة، ويطرحها مفتاحاً لفهم نفوس أبطاله. وعلى رغم تجربته العريضة، التي يشترك فيها مع كتاب بارزين من أصل شرقي مثل سامي ميخائيل وإسحاق غرمزانو غورن وآخرين، فقد ظلّ إنتاجه الأدبي «ظاهرة» فريدة، لا تنجح في مغادرة مكانها في الهامش الثقافي الضيق المخصص له ولأمثاله من الكتاب اليهود – العرب، وتبقى – في عرف المؤسسة الثقافية الرسمية – خارج دائرة المشروع الثقافي الصهيوني، وإن شهد تصدعات كبيرة على مرِّ السنين.

لكن بلاّص ماض في مشروعه الثقافي، غير آبه بالقوالب الجاهزة في انتظار نصّه الجديد. ويقول في حوار معه، انه، ونتيجة هذا الاختلاف القسري عن بقية الشركاء في المشروع الثقافي الصهيوني، والطابع العام للثقافة العبرية في البلاد، لا يتم قبوله بسهولة في «بلاط» الثقافة، انسجاماً مع عملية «مقاطعة» غير مكتوبة، يشترك فيها نقّاد يهود بارزون، وباحثون معروفون في الأدب العبري. إنه ما زال بانتظار البحث الجاد في أدبه، وفي موقعه على خريطة الثقافة العامة في البلاد.

وإذا كان التغييب «حلا أدبياً» لمعضلة الشرق في الثقافة الإسرائيلية الراهنة، كما يؤديه النقد الأكاديمي بوجه خاص، فإن بلاّص يبدو «بطلاً ثقافيا» حاضراً بقوة فوق ساحة العمل الثقافي الواسعة، يجتذب إليه «النقاد الجدد»، القادمين من خارج المؤسسة الأكاديمية الرسمية في الأساس، وإن كان بعضهم تعرَّف إلى إنتاجه من خلالها. بدا بلاّص لهذه الفئة من النقاد (أبرزهم الناقد حنان حيفر) طليعياً في شق الطريق أمام المثقف والأديب اليهودي الشرقي، نحو الانتماء إلى الثقافة العبرية الجديدة. وإذا كان موشيه شمير، الكاتب اليميني المعروف، أول من شق الطريق لظهور شخصية «الصبار» في الأدب العبري المعاصر، بدءاً بروايته «كان يمضي في الحقول»، فإن شمعون بلاّص ينظر باهتمام كبير إلى مشروعه الأول – ويخيّل أنه الواحد والوحيد في ضوء تجاربه الإسرائيلية – في شق الطريق أمام اللون الشرقي في الأدب العبري، وترسيخه، لعلّه – كما يقول في هذا الحوار – يعثر على

إجاباته الناقصة في قضايا الآخر والهوية والإنتماء. وفيما يلي حوار مع بلاّص أبرز شخصية «حاضرة – غائبة» في ثقافة الآخر هذه الأيام.

| رغم انقضاء عشرات السنين على تواجدكم هنا، لم يصل سوى القليل من إنتاجكم إلى القراء، وبضمنهم القارئ العربي الفلسطيني، وربما غيره من العرب والأجانب، وذلك يصبّ في صالح هيمنة الانطباع العام بأن الثقافة العبرية المعاصرة ليست سوى أبراهام. ب. يهوشع وعاموس عوز من جهة، وموشيه شمير وربما سميلانسكي يزهار وغيرهم من جهة أخرى. وفي ذلك يبدو أن الثقافة العبرية والمثقف العبري شريكان في تحييد اليهودي الشرقي عن مجمل الجدل السائد على أرضية الصراع، مما يخلق هذا الجهل العام بإنتاجه الثقافي، وهما بذلك يوقعانه في أسر نوع من الهيمنة اليهودية الاشكنازية المقررة كثيراً في الحوار الثقافي الدائر هنا. لعلنا نبدأ بهذه النقطة. هل توافق على التعريفات التي تقدمك فوق هذه الأرضية؟ كيف تعرّف نفسك؟

|| دائماً تأتيني مثل هذه الأسئلة من الجانب العربي بالذات، وعلى ذلك أجيب دائماً: أنا يهودي – عربي. وفي هذه النقطة هوجمت مراراً من الجمهور الإسرائيلي، الذي يقبل مني كل الإجابات إلا إجابتي أنا، الحقيقية والصادقة، التي تعكس حضوري الأصيل فوق هذا الساحة الملتهبة.

| لماذا تصر على هذا التعريف؟ كيف تفسر رد الفعل السلبي من الجمهور اليهودي، الذي يبدو بمعظمه اشكنازياً في هذا السياق، تجاه رغبتك بأن تتولى أنت وضع هذا التعريف؟

|| نظرت الحركة الصهيونية ذات الأصل الأشكنازي الأوروبي إلى الشرق نظرة استعلاء، وعندها، فإن اليهودي الشرقي والشرق بشكل عامة يتميزان بالتخلف. ومن جهة أخرى، ما زال الشرق العربي في مواجهة وصراع مع إسرائيل والحركة الصهيونية، لذلك عندما تقول «يهودي»، تضع النقيض الآخر للمعادلة، أي: العربي. وهي معادلة رائجة أشكنازياً – دائما يكون هناك عربي ضد اليهودي لديها. وهو عدو على الدوام. هنا تجمع الصهيونية بين تناقضين، جعلها تعامل اليهود الشرقيين الذين قدموا إلى إسرائيل ضمن معادلة مشروطة: أن تنتزع الثقافة العربية عنهم بفظاظة أولاً، وأن تجردهم من جذورهم العميقة في ثقافة الشرق، ثانياً.

| ليس سراً أنكم تعرّضتم لمحاولات شطب ذاكرتكم الشرقية التي سبقت وصولهم إلى البلاد، وأن تاريخكم في غُرف الصهيونية الأشكنازية يبدأ بعد العام ٤٨، أو في العام ٥١، عام الهجرة اليهودية من العراق. وهي تقول لكم باستمرار: لا تاريخ لكم قبل وصولكم إلى هذه البلاد. بالمقابل، نجد أن «ذاكرة النازية» لم تُشطب، بل ترسّخت بالقدر الذي طولبت فيه ذاكرة اليهودي الشرقي بالشطب.

|| عانى يهود الشرق من الاستلاب في الهوية والهوية الثقافية منذ اللحظة الأولى لوصولهم إلى البلاد. وفي ضوء ما وصمهم به المجتمع الاشكنازي الكبير من تخلف، تطورت لديهم ردود فعل عكسية، واصبحت غاية حياتهم هنا الإندماج والتحول إلى جزء من المجتمع الإسرائيلي، عَبر التخلّي عن أو إخفاء هويتهم الشرقية. حصل ذلك كل الوقتً. قبل عشر سنوات كتبت في إجمال هذا الوضع بعد أكثر من أربعين عاماً، ويُذهلني، أنني أتوصل إلى نفس الاستنتاجات اليوم: وهي أن زعماء الصهيونية اعتبروا أن هوية اليهودي الشرقي سبب يحول دون اندماجه في المجتمع الجديد، تمشياً مع عقلية الطبقة الحاكمة ونظرتها المسبقة تجاه الشرق. كانت هذه الهوية بالنسبة لليهودي العراقي أساساً شاهداً على تخلُّفه الحضاري، بل شاهداً على انتمائه للعدو. كان عليهم كل الوقت الاختيار بين التمسك بالهوية أو الاستسلام لمحاولات طمسها، تمهيداً لقبولهم في المجتمع. وقد استسلمت الأغلبية للأسف لهذه المفاهيم القسرية والمستبدة في قمع الهوية الأصيلة ليهود الشرق بشكل عام، ويهود العراق على وجه الخصوص. كان التمسك بالهوية يعني الانفصال والعزلة عن المجتمع، وهو ما لم يحتمله يهود الشرق. اليوم، وبنظرة للوراء، نجد أن ذلك لم يُفدهم كثيراً...

| *في العام الماضي أصدرت بالعبرية رواية جديدة بعنوان «تل أبيب شرق»، تقول إنك كتبتها في الستينات ولم تنشرها في حينه لأنك لم تجد ناشراً يوافق على إصدارها، لما تضمنته من انتقاد لاذع ومرير للنهج الصهيوني الرسمي في التعامل معكم بعد وصولكم إلى هنا، ومحاولاته لـ «إصلاح» اليهودي – العربي المهاجر إلى البلاد، و «ملاءمته» للواقع الجديد. هل العودة الآن إلى تلك المقولة من الستينات تحمل تنديداً سياسياً وثقافياً متجدداً بالصهيونية في سياق سياستها تجاه يهود الشرق؟ هل يمكن الفصل اليوم بين مركبات الصهيونية الشرقية والغربية بهذه الطريقة التي تؤديها؟ أما زلت تعتقد بأنك محيَّد من الحوار اليهودي – الأشكنازي؟*

|| لم تتغير معتقداتي تجاه الصهيونية الأشكنازية، لأن هذه الأخيرة لم تتغير! عبرت عن رأيي في كل مرّة حصلت فيها على فرصة لأفعل ذلك. في حينه، رفضت دار النشر إصداره الرواية بسبب مضمونها. كنت أصدرت قبل ذلك روايتي الأولى «همعبراه» في العام ١٩٦٤، وكانت نصّاً مؤلماً، وافقوا على نشره لأنه كان الكتاب الأول حول تجربة «المعبراه» والأول لكاتب يهودي عراقي. من الملفت للنظر أنهم كتبوا على غلاف الرواية الاولى أنها تتحدث عن «واقع صعب انتهى». أخشى أنني كتبت رواية فولكلورية بنظرهم. بدأت كتابة الرواية الثانية «تل أبيب شرق» عن تجربة القادمين الجدد في مطالع الستينات، بينما كانت روايتي الأولى في المطبعة. كتبت عن عشر سنوات أخرى من حياتنا كما عرفتها وخبرتها على جلدي. كانت دار النشر «عام عوفيد» تابعة لحركة العمل العبرية «الهستدروت». اكتفوا مني برواية

«المعبراه» وقالوا هذا يكفي! لا حاجة لهم لسماع صوت الجيل الذي تغلغل في «تل أبيب شرق»، فقد كان شاباً، وفيه طلاب جامعيون، يجادلون فيما يدور حولهم، وهو ما لم يرق لدار النشر المذكورة، فرفضت نشر الجزء الثاني. ارتقت المشكلة الشرقية في روايتي الثانية عدة درجات، وطرحت على مستويات أرفع: فيها الطالب الجامعي الذي يعكف على كتابة بحث أكاديمي عن واقعه المرير لتقديمه إلى الجامعة؛ وعن التعددية الثقافية في المجتمع الاسرائيلي ، وهو يقول في الرواية: «أحمل المعبراة في داخلي حيثما أذهب، وسأحملها مدة طويلة أخرى، ويمكن أن أحملها إلى الأبد». كان ذلك بعد ان غادر اليهودي – العربي المخيم بعشر سنوات، في الفترة التي كان فيها نهر «أيَلون» يفيض على ضفتيه ويغمر حي «هتكفا» جنوب شرق تل أبيب. آنذاك، طلب منّي مُحرِّر مجلة «أموت» الفصلية العبرية كتابة مقال حول «دمج الشتات» الذي كان مرفوعَاً في حينه. في تلك الأيام كان واضحاً أن المشكلة ليست مجرد جسر على الفوارق الإجتماعية والمادية وغيرها، بل مشكلة ثقافية، نتيجة معاملة اليهود الأشكناز الذين أسّسوا دولة هنا لليهود الشرقيين. كانت تلك نظرة غربية كولونيالية تجاهنا كبشر. كان نشر المقال في منتصف الستينات عملاً جريئاً من جهة، لكنه كان سبباً في حملة واسعة ضدي بدأت في العدد ذاته الذي حمل مقالي. وفي هذا لم يتغير شيء منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا، لذلك اتمسك برأيي بأن المسألة الشرقية ليست محصورة في الظلم الاجتماعي أو في الاعتذار عن التسبب بهذا الظلم، كما فعل بعض قادة حركة العمل الأشكناز مع الشرقيين، بل في أساس المفهوم الصهيوني للشرق وأبنائه، المهيمن حتى اليوم، والذي يؤكد على كونهم يمثلون «الغرب المتحضر»، مقابل «الشرق المتخلف» الذي استوطنوا فيه.

| ***لجأت الصهيونية الاوروبية إلى الدراسات الشرقية والاستشراق لتكريس نظرتها نحو الشرق ومحاربته، ومساعدة نفسها على التجذُّر هنا. وفي سبيل ذلك عمدت إلى «تحقير» الشرق، بالمقارنة مع الغرب، رغم أنها قدمت للاستيطان فيه، لا لتكون جزءاً منه. وذلك معروف أيضاً..***

|| الاستشراق الأكاديمي الآن منقسم حيال الشرق. معروف تاريخياً أن بعض الدراسات والمفاهيم الاستشراقية شكلت أساساً أسست عليه الصهيونية وبعض الكولونياليات الغربية نظرتها وممارستها الاستعلائية تجاه الشرق. في ضوء ذلك،تشكلت النظرة الاستعلائية تجاه يهود الشرق ومحاولة طمس هويتهم الثقافية من أجل دمجهم في المجتمع.

| ***متى جئت للبلاد؟ كم كان عمرك؟***

|| كنت في الحادية والعشرين من عمري عندما هاجرت إلى البلاد في العام ١٩٥١. كان ذلك ضمن موجة الهجرة الجماعية إلى فلسطين. جئت إلى هنا كشيوعي كان عضواً في الحزب الشيوعي العراقي، حزب الرفيق فهد. التحقت بالحزب في سن السادسة عشرة. بعد حرب

٤٨ والاعتقالات الجماعية ومقتل قادة الحزب وإعدام الرفيق فهد في عهد نوري السعيد، دخلت في مرحلة صعبة، لكوني شيوعياً أولاً، ويهودياً بالدرجة التالية. مُورسَت ضغوط كبيرة على اليهود بشكل عام للرحيل عن العراق، وقدّمت الدولة تسهيلات من عندها لتحقيق ذلك.

| *ألا تخشى أنك تقوم بترديد الرواية الصهيونية لهجرة يهود العراق والدول العربية إلى فلسطين، عندما تلجأ إلى حكاية الملاحقة والاضطهاد العرقي إلخ؟ ما الذي يدفع شيوعياً يهودياً عربياً لمغادرة العراق والرحيل إلى فلسطين، إذا لم يكن مدفوعاً بتوجُّهات صهيونية، يُنفِّذُها في نطاق هجرة صهيونية «نموذجية»؟*

|| أنا لست صهيونياً، لم أكن ولست الآن ولا أعتقد أنني سأكون كذلك! ولم أهاجر بدوافع صهيونية، بل لأنه لم يكن لدي مناص آخر. نشأت أوضاع صارت فيها حياتنا صعبة للغاية في العراق، ولا أمل في الأفق، لأن الصراع أخذ يتأّصل أكثر فأكثر، وكان عليَّ كشاب وشيوعي ويهودي عربي التعبير عن نفسي، ولم يكن أمامي مفرٌّ من الهجرة إلى فلسطين، ومواصلة النضال هناك! أنا لا أنجرّ وراء الرواية الصهيونية عندما أُشير إلى المخاطر التي تهدّدت حياة اليهود في العراق. إذا كان هناك خطر يتهددهم، فهو خطر الصهيونية نفسها، الناجم عن الصراع ونتائج الحرب. أعرف أن كل الأقليات تعاني من ضغوط داخلية وخارجية. من السهل قول ذلك. أنا شخصية وعيت أن مصدر هذه الضغوط كانت في صالح دعاة الحركة الصهيونية الذين دفعوا الشباب للهرب عبر الحدود، ولإقناعهم بوجود مخاطر حقيقية تتهدد وجودنا، لا لشيء، سوى أننا يهود! ازداد واقعنا سوءاً نتيجة الصراع، وكان ردّ الفعل معادياً لليهود بطبيعة الحال. مع ذلك، عندما قررت حكومة العراق السماح ليهود العراق بالسفر، وأصدرت قانون إسقاط الجنسية، لوضع حد للهجرة عبر الحدود الإيرانية. كل من رغب بالسفر طالب بإسقاط جنسيته ورحل. بكل بساطة! مرَّت ثلاثة أرباع العام، ولم تكن هناك استجابة عامة لضغوط الصهيونية بالرحيل. تسجل بضعة آلاف فقط من بين مائة وعشرين ألف يهودي عراقي في تلك الأيام! عندها بدأت التفجيرات الشهيرة، وأُلقيت القنابل على الكُنُس والنوادي والبيوت اليهودية، مما حرّك موجة قوية من الهجرة، أتت بيهود العراق كلهم إلى فلسطين. نجم ذلك عن تواطؤ واضح بين النظام العراقي والصهيونية. هاجرت إلى البلاد عارفاً أبعاد المؤامرة الصهيونية على وجودنا في العراق، لكنني كنت ملزماً بالرحيل، لأنني اعتبرت أن ذلك خلاصي الوحيد في تلك الأيام.

| *تبدو كمن يحاول «تبرير» هجرته. هل هاجرت وحدك؟*

|| هاجرت مع أفراد عائلتي، رغم أنني كنت راغباً بالهجرة وحدي. أمي اعترضت خطتي، واشترطت أن نبقى معاً أو نهاجر معاً. في نهاية المطاف جاء الجميع، وبقي والدي هناك. جاء بعد ذلك بحوالي عشرين عاماً، في مطلع السبعينات، وكان مريضاً جداً. حملوه على نقالة

إلى المستشفى، مكث ستة أيام ومات. لم أتمكن من رؤيته، كنت طالباً في السوربون. وكان صعباً عليَّ أن أُفارقه بهذه الطريقة.

| ***كيف تصوَّرت هذا المكان قبل مجيئك؟ ماذا خطر ببالك، في تلك الأيام؟***

|| **عرفت الكثير عن البلاد قبل أن أُهاجر إليها. عرفت بوجود الخيام، وبأننا ذاهبون إليها، حتى أنني حاولت التأثير على أمي وحثِّها على البقاء تجنباً لحياة الخيام هناك. قلت لنفسي: سأبقى هناك (هنا) عدة سنوات إلى أن يجيء السلام. لكن السلام لم يجيء، ولم يكن ذلك مفاجئاً لي ليخيب أملي. كانت تلك هجرة معلنة سلفاً، وخيبة متوقعة. عندما وصلت إلى البلاد، كان أول شيء فعلته البحث عن الحزب الشيوعي. أول يوم وصلت فيه إلى المدينة، وتوجهت إلى كشك الصحف، واشتريت صحيفة «كول هعام» العبرية التابعة للحزب. لم أكن أعرف سوى الحروف العبرية، مع ذلك اشتريت الجريدة مغتبطاً. سرَّني أن صحيفة الحزب معروضة للبيع بشكل علني! فقد اعتدت أن أخفيها داخل الكتاب أو الملابس! من هذه الناحية جئت حاملاً وعياً سياسياً واضحاً تماماً، في كل ما يخصّ العرب واليهود والموقف العام والصراع والصهيونية والدولة اليهودية، وكان طبيعياً أن أجد طريقي في الأيام الأولى على وصولي هنا إلى مظاهرتي الاولى ضد دافيد بن غوريون! هبطت في وسط معركة انتخابات العام ١٩٥١ التاريخية، التي قادتها وربحتها «مباي»، صاحبة السياسة العنصرية تجاه الشرقيين الذين جلبتهم إلى البلاد خدمة لمآربها. لذلك فإن «مباي» من هذه الناحية تبدو لي «رأس الأفعى»..**

| ***أين كانت «المعبراه» الأولى التي حللت بها؟***

|| **في ضواحي أشكلون (عسقلان). كانت تسمى «مجدال غاغ»، أي: «المجدل»، بعد طرد العرب منها بالطبع! وصلت المجدل بعد خروج آخر عربي منها بسنة واحدة تقريباً. قيل لنا إن المجدل كانت للعرب، وأنهم بقوا داخل «جيتو مُسَيَّج» حتى مطالع العام ١٩٥١، إلى أن طُردوا إلى غزة عَبر البحر. قالوا لهم: في أعالي البحر تقع غزة، اذهبوا إليها! هكذا طردوهم. هذا ما حكاه لنا النزلاء الجدد في هذه البيوت العربية.**

| ***وهل سكنت بيتاً عربياً فور وصولك؟***

|| **كلاَّ! ذهبت إلى «المعبراه»، إلى الخيمة، بينما دخل الرومان ومهاجرو اليمن بيوت أهل المجدل. كانت الهجرة في أوجها وكانت بيوت العرب «جاهزة» لاستقبالها! عندما وصلنا كانت «الغنيمة» موزعة، فأسكنونا معسكراً مفتوحا يسمى «المعبراه». وتلك لم تكن مجرد «مرحلة انتقالية» كما يشي اسمها، لأنها بقيت – كما يقول بطل «تل أبيب شرق» – في داخلنا كل الوقت. كانت المجدل بلدة صغيرة من شارع واحد، بقيت على حالها بمقاهيها وحوانيتها العربية، التي احتلها اليهود، وبضمنها ذلك اليهودي الروماني الذي فتح في أحدها كشكاً**

للصحف وباعني صحيفة الحزب الشيوعي الاسرائيلي. في مرحلة لاحقة تغلغلت في المجدل نفسها والتقيت رفاق الحزب وجدَّدت صلاتي الحزبية.

| *هل استوعبوك في صفوف الحزب الَشيوعي؟*

|| نعم! انتسبت مباشرة للحزب، الذي اهتم بي، واعتبرني «كنزاً» له، باعتباري مثقفا متعلماً يعرف النظرية ويملك موقفاً سياسياً مبلوراً ما يدور على ساحة الصراع. حاضرت على الرفاق عن الثورة الفرنسية وكومونة باريس وثورة لينين وغيرها. تعلَّمت العبرية من قراءة «كول هعام». واظبت على قراءتها، وتأثرت كثيراً بالأدبيات الماركسية العبرية. ومن ثم التقيت قيادات الحزب الشيوعي العربية. كتبت مرة في صحيفة «بريد الجنوب» كيف التقيت اميل حبيبي لأول مرة. كان هناك بعض الرفاق اليهود العرب مثلي ممن توجهوا للحزب، اذكر منهم سمير مارد (سامي ميخائيل) ودافيد صيمح وساسون سوميخ.

| *كيف عوملتم كرفاق يهود وصلوا في نطاق هجرة تمت بدوافع صهيونية؟*

|| أبدى الرفاق العرب تفهما لدورنا، بل إنهم كانوا سُعدُوا بانضمامنا إليهم. سَرَّهم التقاء يهود يتحدثون العربية، ويشتركون معهم في النضال، رَغم صعوبة اللقاء. كانت تلك أيام الحكم العسكري الأولى، وكان التنقُّل صعباً على العرب بوجه خاص، وعلى الشيوعيين اليهود كذلك. نظم الحزب دورة تثقيفية لنا في الرملة عن الحركة الصهيونية والأحزاب الإسرائيلية، واستمعنا إلى محاضرات بالعبرية ترجمها زاهي كركبي للعربية، وحاضر علينا محاضرون عرب مثل توفيق طوبي وإميل حبيبي، الذي التقيته لأول مرة في تلك الأيام، وأذهلني عندما أخبرني أنه صيَّاد سمك.

| *هل كتبت في تلك الفترة؟*

|| بدأت الكتابة بالعربية في مطلع الخمسينات، بعد ظهور مجلة «الجديد»، التي نشرت فيها عدداً من القصص والمقالات.

| *كم سنة استمرت «قصة غرامك الشيوعية» في البلاد؟*

|| حتى مطلع الستينات. تأزمت العلاقة بيننا على أساس أيديولوجي. فقد شهد الحزب بعد مؤتمره العشرين جدلاً صاخباً وعنيفاً حول الطريق وحرية التعبير والديمقراطية فيه، وحول النظرة للفن والأدب. في القضية العربية لم يكن هناك أي تغيير. دائما احتفظ الحزب بموقف واضح يعترف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره إلخ. غادرت الحزب وتوقّف عملي في صحيفته في العام ١٩٦٠.

| *ماذا كانت أسبابك الخاصة للانفصال؟ هل بدأت تتأقلم مع «إسرائيليتك»، وبدا لك الحزب إطاراً ضيقاً لا يتسع لهويتك الجديدة؟*

|| لم أنفصل عن الحزب لحساب أطر حزبية أخرى أو «هوية جديدة». المسألة لم تكن

بهذه الحدة، فأنا لم أغلق الباب بقوة ورائي، لذلك اسمي خروجي من الحزب انفصالاً مؤلماً، لأنني منذ نعومة اظفاري درجت على هذا الطريق وآمنت به، رغم ان الحقائق بدأت تتكشّف تباعاً، حول الوضع الداخلي في الحزب، والاوضاع في البلدان الاشتراكية والحريات الفردية المصادرة إلخ.. كذّبوا علينا، وصدمونا عندما اكتشفنا الحقيقة لوحدنا. أخفوا عنّا كل شيء، ليتكشّف، فجأة، على حقيقته، وبدون مقدمات. صحيح أن ذلك لم يكن بهذه الحدة التي نعرفها اليوم، بعد البريسترويكا، لكن البدايات بالنسبة لي كانت هناك، في الستينات، وكان ذلك مؤلماً جداً لي. بعد ستالين وخروتشوف خاب أملي وانهار عالمي واصبحت بحاجة إلى مُثُل جديدة أُدافع عنها في حياتي الجديدة والمختلفة في هذا المكان.

| ***إلى أين كانت وجهتك؟***

|| بقيت وجهتي على حالها، لكن أسئلة وجودي ازدادت وتعمَّقت. لعدة سنوات عملت مراسلاً للشؤون العربية في صحيفة «كول هعام»، بعد أن تسرَّحت من الجيش. في فترة الجندية كتبت مقالي العبري الأول في الصحيفة التي عملت في مطبعتها أولا، حول جمال الدين الأفغاني! أعتقد أنني كنت أطبِّق مفاهيمي ومعرفتي وأُمارس نوعاً من الرسالة داخل المجتمع الجديد. لم أكن أعرف أن العالم العربي غريب لهذا الحدّ في المجتمع اليهودي. كانت المفاجأة الكبرى التي لقيتها هنا في الأيام الأولى على وصولي. وصلت كما أسلفت في عزّ معركة انتخابات العام ١٩٥١. في أحد الاجتماعات الشعبية للحزب استمعت إلى مئير فلنَر، العضو في الكنيست وزعيم الحزب. أذكر أني تحدّثت إليه بالإنجليزية، وقد فاجأني بأسئلته البسيطة في قضايا بدا لي أن معرفته بها يجب أن تكون بدهية! أذهلني مقدار الجهل بالعالم العربي حتى في صفوف الشيوعيين!

| ***لعلهم حاولوا بهذا الجهل بمصادر الشرق وثقافته طمس الحضور الشرقي في الواقع الاسرائيلي؟***

|| ما أُريد التنبيه إليه أن الشيوعيين لم يأبهوا في البداية كثيراً بمعرفة العالم العربي وثقافة الشرق العظيمة. منذ ذلك الحين وأنا أُجيب على أسئلة حول ما يجري في هذا العالم. صرت مرجعية بنظر يهود كثيرين في واقع العرب وثقافتهم، رغم أنفي! إلى الحد الذي جعلني أتولى تحرير الشؤون العربية في صحيفة الحزب العبرية سنوات طويلة. إذا كان إميل حبيبي بقي هنا «بفضل حمار»، فإنني صرت مرجعية للشؤون العربية بحق الضائقة والجهل اليهودي! كان ذلك أكثر من واجب بالنسبة لي، وقد صار رسالة مع الوقت. هكذا توصّلت إلى مادتي، وهكذا بدأت مشوار بحثي في الثقافة والأدب عند العرب.

| ***وماذا كتبت لقرّائك العرب، في ضوء هذا الإحساس بالرسالة؟ هل كنت تخاطب جمهوراً واحداً أم اثنين؟***

|| كتبت كثيراً عن أدباء العراق، واستعرضت الإصدارات العربية الأدبية للقرّاء باللغتين. كنت أحكي للطرفين، وكان ذلك صعباً جداً ومتعباً جداً.

| *ماذا فعل زملاؤك من تلك الأيام، ممن امتشقوا مثلك أقلامهم وكتبوا فور وصولهم إلى هنا بلغة أصحاب البلاد الأصليين؟*

|| كنا ثلاثة، أنا وساسون سوميخ ودافيد صيمح. قبلنا هاجر سامي ميخائيل. في مطلع الخمسينات شكلنا في تل أبيب «ندوة أنصار الأدب العربي»، وكانت فاعلة في أوساط اليهود العراقيين في الأساس. عزّزنا صلاتنا بمجلة «الجديد» وصحيفة «الاتحاد»، ونظّمنا لقاءات مشتركة للجانبين، حضرها إميلَ توما وجبرا نقولا وإميل حبيبي وغيرهم. واصلنا التصرُّف كأننا عرب، ونظَّمنا اللقاءات بين الكتّاب من الجانبين. استمرت نشاطاتنا المشتركة عدة سنوات.«انفرط» عقد هذه الندوة لأسباب خاصة بمؤسسيها، فساسون سوميخ ودافيد صيمح توجها إلى الجامعة للدراسة، وبقيت أعمل مدة إضافية في جريدة الحزب، إلى أن توقّف نشاطنا نهائياً. بنظرة للوراء، كانت تلك مبادرة طليعية وجريئة وصحيحة وضرورية.

| *كنت تعود من تلك اللقاءات إلى بيتك في «المدينة العبرية الأولى»، تل أبيب. كم سنة قضيت في المجدل؟*

|| سنة واحدة فقط. بعدها انتقلنا إلى قرية أخرى كانت للعرب هي بيت دجن، القريبة من تل أبيب. في الرحيل التالي حصلنا على سقيفة مضاءة بالكهرباء، لا أعرف ما إذا كانت تابعة للعرب أم أن الوكالة اليهودية أقامتها. بعد «بيت دجن» أقمنا أربع سنوات في «بات يام»، وفي العام ١٩٦٥ انتقلت إلى تل أبيب، وأنا فيها منذ ذلك الحين. مررت بأربع – خمس محطّات قبل وصولي لهذا البيت – في شارع يحمل اسم شاؤول تشيرنيحوفسكي – منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

| *هل ساعدك هذا الانتقال على ترسيخ جذورك في اللغة العبرية؟ قبل ذلك بعام واحد أصدرت روايتك العبرية الأولى، التي قلت لي إنك كتبتها أولاً بالعربية.*

|| كان ساسون سوميخ أول من انتقل للعبرية من «مجموعة أنصار الأدب العربي»، وهو بانتقاله هذا اختار العمل «سفيراً» للثقافة العربية لدى القارىء العبري، وبدأ يترجم نصوصاً إبداعية وشعرية عربية للعبرية. في البداية عارضت الانتقال للعبرية، وادعيّت على الدوام أن الأديب يولد في اللغة، وأن اللغة جزء من شخصيته، وأنه لا يمكنه الانتقال للكتابة بلغة أخرى. أذكر أننا نظمنا ندوة في هذه المسألة نشرتها «الجديد» في حينه. وكما أشرت، فقد كتبت «همعبراه» بالعربية أولاً، وترجمتها للعبرية بنفسي. ما زلت أحتفظ بنسخة من روايتي الأولى بالعربية! في العام ١٩٦٠ قررت التحول للعبرية نهائيا، والبحث عن لغة

أخرى أكمل بها بقية المشوار..

| *ماذا حدث؟ في تلك الأيام كتبت باللغتين كما تقول، فهل عانيت؟*

|| نعم! في تلك الفترة تبين لي خطأ معتقدي بأنني لا أستطيع كتابة الأدب إلا بالعربية. توصلت إلى ذلك بعد عشر سنوات من العيش في محيط يهودي، وتحدث لغته، والانقطاع، بالمقابل، عن القضية العربية. لم أرغب بمواصلة لعب دور فارس طواحين الهواء من دون كيشوت، وقلت لنفسي: إذا واصلت الكتابة بالعربية، وتركزت كتابتك بطبيعة الحال عن معاناتك وبيئتك ومحيطك ومشاكلك، فسرعان ما ستكتشف أنها ليست معاناة ومشاكل القارىء العربي، الذي عانى تحت الحكم العسكري، وعاش عالماً مختلفاً عن عالمك. لم يكن بيني وبين قارئي العربي أي حوار حي ويومي. من الصعب أن تكتب لجمهور يصعب التوصل إليه. لم تكن عندي رغبة لأن أحكم على نفسي بالانعزال في أسوار اللغة.

| *لعلك وقفت أمام وضع استحال فيه حمل الازدواجية في الهوية القومية والثقافية بداخلك، أنت اليهودي – العربي، الذي لا يتم استيعابه في محيطه بهذه الإزدواجية، فقرر الانتصار لليهودي الذي بداخله، الأقرب هويةً ومحيطاً. هل تعزز الأحساس بهوية المكان القريب بداخلك، فقررت وضع حدّ لهذا الانشطار الثقافي واللغوي؟*

|| قد يكون ذلك صحيحا على صعيد انتمائي اليومي للبيئة القريبة. أرى واقعاً مختلفاً من حولي، أتحرك فيه، وأتواصل مع أناس مختلفين، يتحدثون لغة مختلفة. التعامل مع الوسط هو أحد الأشياء الأساسية في الكتابة. لا يمكنني الكتابة عن واقع لا أعرفه، حتى لو أتقنت لغته. مشاكلنا بدأت تختلف.

| *كأنك تقول أن ابتعادك عن يوم وصولك يبعدك باستمرار عن جذورك العربية التي حاولت زرعها هنا، إلى حد أنك صرت جزءاً من «المشروع الكبير»؟*

|| كلا! لست جزءاً من هذا المشروع ولا أي مشروع صهيوني هنا! المشكلة أنني أعيش داخل هذا المشروع مجاهداً الحفاظ على تميزي فيه. وقد حاولت منذ روايتي الأولى أن أعكس هذا التميز بطريقتي الخاصة. لم أكن أنا بطل الرواية، لكن الواقع الذي وصفته في «المعبراه» يلامس هويتي الإسرائيلية التي عشتها خلال كل هذه المدة، وكنت طرفاً فيها. لا يمكن للكاتب أن يكون منقطعاً تماماً عن البيئة المحيطة. هناك كتّاب يعيشون في المنفى، في فرنسا أو غيرها، ولكنهم يواصلون الكتابة بلغتهم..

| *هل أحسست بأنك قادم إلى منفى، وبأنك مطالب بالكتابة بلغتك لتحافظ على وجودك فيه، عندما كتبت بالعربية؟ أنت بالتالي كتبت بلغة «المنفى»..*

|| أمكن لذلك أن يكون صحيحاً لو كان الواقع مختلفاً. هجرة يهود العراق واليهود العرب تختلف عن هجرة اليهود الروس مثلاً، الذين لا يتنكرون لهويتهم الأصلية. أو للغتهم.

بالعكس، إنهم يباهون أمام الإسرائيليين بالإنتماء إلى ثقافة أعلى من ثقافتهم!

| *ذلك مختلف، فهم «غرب» وأنت «شرق»..*

|| صحيح، وذلك ليس «شرقاً» عادياً، بل عدائياً. لو كانت الأمور مختلفة، لأمكن أن تتم الهجرة اليهودية العربية إلى المجتمع الفلسطيني العربي وليس الإشكنازي اليهودي بالضرورة! رفعت الدولة اليهودية أسواراً عالية بين اليهود الشرقيين والعرب الفلسطينيين لكي تدفع «اليهود العرب» نحو اليهود الإشكناز.

| *كان ذلك «دمجاً» بالإكراه. وهو نوع من قمع الإنتماء الثقافي، ولعله نوع من الإلزام بمشروع لعلك لا تؤمن به..*

|| القضية أن هناك من يؤمن بهذا المشروع! الأغلبية. لذلك ليست هذه هي المشكلة. بل هي في إلزامك بتقمص هوية ثقافية تحتقر الهوية الثقافية الأصل التي جئت منها، والتي جعلوها بنظرك هوية عدو يجب أن تشترك في محاربتها. كانت تلك عملية غسيل دماغ، جعلت ضحاياها يتحولون إلى أكبر الكارهين للعرب، رغم أنهم عرب! أبرز مثال على ذلك تلك الجماعات العراقية التي عملت في نقابة العمال الإسرائيلية العامة «الهستدروت» وفي دائرتها العربية، وفي الراديو الحكومي، وانكبت على خدمة الدعاية الصهيونية ضد العرب.

| *لعل ذلك يعزز الصورة التي حاولت المؤسسة الصهيونية والأكاديمية جاهدة تقديمها عن اليهود الشرقيين بأنهم كارهون للعرب؟*

|| نجح هؤلاء بخلق أجواء كهذه. وصارت المعادلة – كلما عاديت العرب صرت أفضل، وتعززت صلاتك اليهودية. لكن ما حدث عندي كان العكس، فقد قررت توثيق صلتي بالأدب العربي، رغم أنني صرت «كاتباً عبرياً» وله عدة كتب بالعبرية. لم تنقطع صلتي بالأدب العربي قبل ذلك، لكن الواقع الذي عشت فيه وصلتي كأديب بالبيئة التي أعيش فيها، لم يتركا لي سوى خيار الإنتقال للعبرية. كان الإنتقال صعباً جداً بالنسبة لي، وقد ألزمني ذلك بتغيير «كود» اللغة في داخلي، وتحويله إلى «كود عبري». قبل ذلك كنت منعت نفسي من قراءة العربية، أو الاستماع لمحطة إذاعة عربية، طيلة الفترة التي كتبت فيها رواية «المعبراه»، التي استغرقتني سنتين. أردت أن أنسى اللغة، لأتمكن من خلق نفسي خلقاً جديداً، وبناء عالم جديد من حولي.

| *الكتابة بالعبرية – في مثل حالتك – ليست عملاً عادياً محكوماً لتقنيات مختلفة، بل هي بحث عن جمهور آخر..*

|| بالطبع. بالنسبة لي، كان ذلك بحثاً عن جمهور أعيش وسطه، وأقابله في البقالة والشارع والجامعة، كل الوقت، ولا أعرفه بما يكفي. بعد أن تجاوزت أزمة الكتابة البكر بالعبرية، استعدت صلة معينة لي بالعربية، عبر قصة «دعاء الكروان» لطه حسين، وكان

ذلك صدفة. أذكر أني قرأت الكتاب طيلة الليل، بعد عودتي من العمل في المطبعة، ولم أستطع النوم بعد ذلك. أحسست أن عالمي ينهار فوق رأسي. كانت تلك تجربة غريبة بالنسبة لي، فقد هجمت كلمات العربية وتعابيرها ومفرداتها وايحاءاتها على ذهني، واستحوذت على كياني كله من جديد. منذ تلك الواقعة أحسست أنني سأظل عالقاً بين العالمين، وأنه ستبقى عندي «حدبة» شرقية إلى الأبد! فاضت العربية على روحي، وسهرت معي حتى الصبح. أحسست كأن العربية تنتقم مني. كأن سد العبرية الذي اقمته حول نفسي ينهار أمام نهر العربية العاتي. تلك الليلة لن أنساها أبداً، لأنها أضاءت لي دروب نفسي حتى نهايتها. كأن العربية قالت لي في تلك الليلة: كيف جرؤت على الخيانة؟

| *لكنك تحررت من ذلك سريعاً، وعدت للانتاج بالعبرية.*

|| تحررت من ذلك الشعورالغريب بأن تركزت في الكتابة عن الأدب العربي للقارىء العبري. وكتبت بحثاً مطولاً بالفرنسية هو أطروحتي للدكتوراة عن الأدب العربي، ترجمته للعبرية، ونقله زكي درويش للعربية في العام ١٩٨٤ بعنوان «الأدب العربي في ظل الحرب».

| *كيف صنعت سيرتك الأكاديمية؟ يخيل أنك «قصة نجاح» في هذا السياق، رغم قولك بأنك «محاصر»!*

|| لم أبدأ سيرتي الأكاديمية بطريقة اعتيادية. تعلمت في جامعة تل أبيب اولاً، لكنني تخصصت بدراسة الأدب العبري في العصور الوسطى. كتبت مقالات عن الأدب العربي في مجلة »كيشت» الفصلية المحتجبة. وقد توصلت إلى مادة أبحاثي العربية في مرحلة لاحقة.

| *كيف استقبل الأدب العربي المترجم للعبرية في تلك الأيام؟ القليل منه ترجم، بعضه ترجمه مناحم كابليوك، مترجم «الأيام» للعبرية، في أول ترجمة لهذه الرواية للغة أجنبية.*

|| كانت هناك ترجمات منذ الثلاثينات والأربعينات، بعضها نفذه مناحم كابليوك نفسه. ترجم لبنت الشاطىء ولأمينه السعيد وطه حسين والحكيم ونجيب محفوظ. كانت الترجمات بمعظمها محكومة لمتطلبات التوجه الاستشراقي نحو الأدب العربي.

| *أديت قسطاً لا بأس به في الترجمة من العربية للعبرية، فهل حركتك دوافع أيديولوجية في ذلك؟ هل شخصياتك العربية نمط أيديولوجي في الكتابة؟*

|| أردت عرض الأدب العربي في ضوء آخر، وكتبت عنه كثيراً، وترجمت نتاجات عدد كبير من أدباء العرب والفلسطينيين، وفي العام ١٩٧٠ أصدرت أول انطولوجيا قصصية فلسطينية بالعبرية بعنوان «قصص فلسطينية». كنت قبل ذلك قد نشرت هذه القصص في الصحافة الأدبية العبرية. بعد ذلك وجدت الشرق وأبطاله يتسللون إلى انتاجي الأدبي. منذ روايتي «الشتاء الأخير» أخذت أميل إلى كتابة رواية سيرة تعتمد على شخصية أو

شخصيات حقيقية، تسرد الوقائع كما كانت، وتلبسها قالباً فنياً، كما هو الحال في قصة «نُذُر الخريف»، المستوحاة من حياة حسين فوزي. رواية «الشتاء الأخير» تعتمد على شخصيات حقيقية من بين المغتربين السياسيين في باريس، لكن ما يشدني إليها ازدواجية مسيرة بطلها، مثلي، وكونه يعيش على تخوم عالمين متصارعين ومتناقضين. في روايتي «وهو الآخر» الصادرة قبل سنوات استلهمت حياة الفرد لأبنيها من جديد. تدور أحداث الرواية في العراق، وتمتد على نصف قرن تقريباً. ثنائية بطلها لا تنجم عن اغترابه البعيد عن الوطن او بداخله، بل عن سعيه المثابر للاندماج في وطنه ومحاولته تشويش معالم المتغيرات التي من شأنها المباعدة بينه وبين أبناء وطنه الأول.

| *بطل الرواية يهودي مثقف يعتنق الإسلام، ويفعل ذلك احتجاجاً على طائفته..*

|| تتحدث الرواية عن أواسط الثلاثينات في العراق، وتمتد إلى نصف قرن كما أسلفت. بطلها يوضح خطوته هذه بكتاب يملك فيه مزاعم كثيرة ضد طائفته اليهودية، ويتهمها بأنها تقيم حواجز تمنع الفرد من التجانس مع المجتمع الذي تعيش فيه، ويستنتج أن على اليهود والمسيحيين العرب اعتناق الإسلام للتخلص من الهوية المزدوجة، والذوبان في هوية واحدة مع مجتمع الأغلبية الذي يعيشون فيه. من هنا فإن أبطالي في صراع دائم لإثبات هويتهم.

| *كرست رواياتك الأولى للحديث عن اليهود العرب في أيامهم الاولى هنا. بعد ذلك نشرت مجموعة قصصية بعنوان «أمام السور». أين أنت الآن منه، وهو منك؟*

|| السور الذي وقفت أمامه في الستينات قد يكون انخفض قليلاً، لكنه قائم. إنه سور يعترض وجودك هنا، سور السجن الكبير وسور العداء المحيط، وسور كبير مرتفع بينك وبين العرب الشركاء في هذا الوطن.

| *وهل حال ذلك بينك وبين الكتابة عن الناس خلف السور؟*

|| لكي تكتب عنهم لا بد أن تعرفهم وتعيش بينهم. وهو ما كان ينقصني. لم أرغب بالكتابة عن العربي كما يكتب عنه في الأدب العبري. لست من أنصار العربي المقولب أو البطل المقولب. هناك شخصيات عربية كثيرة كهذه في الأدب العبري المعاصر. شخصياً، التزمت جانب الحذر، ورفضت الانجرار لأنني أعرف العرب أكثر من بقية الأدباء اليهود، ومع ذلك لم أقع في إغراء الكتابة عنهم، حيث هم، في مواقعهم. يمكن أن يأتيني بطل عربي إلى مكاني أنا، عندها قد يدخل روايتي. وقد حدث ذلك بالفعل.

| *البعض يعتبر روايتك «غرفة مغلقة» أول عمل روائي تجرؤ فيه على استدخال عربي كبطل أدبي في انتاجك الروائي. من أين واتتك الجرأة، خاصة وأنك تقول أنك لم ترغب بذلك؟*

|| نعم. وهو شخصية مثقفة، وإن كان يعاني من تصاوير مقولبة جزئيا، كأن يكون عاملاً في مطعم وطالباً جامعياً في نفس الآن. لكنني عثرت على مواصفات كهذه في الواقع،

حضرت بقوة في انتاجي. نجم حذري عن مفاهيم أدبية آمنت بها، فالكاتب يمكنه الكتابة عن أناس قريبين منه، ويعرفهم، وهم جزء من ذاته، وحضوره. هكذا انظر إلى الأمور، وهو ما دفعني للتحول للعبرية، وإن كنت أفعل ذلك بشحنات كبيرة من العربية وثقافتها. أنا أكتب عن أناس قريبين مني، وتجمعني بهم تجارب مشتركة، ونمط حياة مشترك. الكتابة عن الفلسطيني تتطلب معرفته، وعندي لم تتوفر مثل هذه المعرفة.

| *ما الذي حال بينك وهذه المعرفة؟ أنت تشتغل بمادة متشابهة!*

|| لكنني يجب أن اعيشهم. يجب أن أكون فلسطينياً لأكتب عن الفلسطيني. وفي ذلك فإنني موافق مع نجيب محفوظ، الذي يمتنع عن الكتابة عن فلسطين لأنه لم يعشها! إنه محق جداً، وبخاصة عندما نقرأ ما كتبه عرب عن الفلسطينيين في البداية. خذ كتابات يوسف السباعي مثلاً، التي لا تعني شيئاً. لا يكفي أن تكون ضيفاً لدى العرب حتى تكتب عنهم، وتدعي معرفتهم. لا بد أن تعيش عربياً حتى تكتب عن العرب، تحتك بهم، تقف بالدور إلى الباص بينهم، وتذهب للبقالة معهم. هذه هي الحياة الناقصة للأديب العبري حتى يكتب عن أبطال عرب. يمكنني القول أن معرفتي القوية بالعرب جعلتني أمتنع عن رسم شخصياتهم في رواياتي بالطريقة التقليدية. وعندما قررت بالتالي خوض غمار التجربة في رواية «غرفة مغلقة» عبر شخصية البطل المثقف سعيد، سخرت كل معرفتي بالعرب، لكي أقدم صورة شخصية قريبة مني بدقة وأمانة واستقامة ثقافية غائبة لدى كثيرين. هذه الشخصية تشترك معي في أشياء كثيرة، كونها مزدوجة الهوية والكيان والحضور، ومزدوجة الثقافة أيضاً. إنها شخصية «الأوت سايدر». الحاضر الغائب في الثقافة الأخرى، الذي يشترك معي في المكان ولا يشترك، ويتواجد فيه ولا يتواجد. لديه طاقات كنت بحاجة إليها لاستكمال هذه الرواية. شخصية العربي الفلسطيني – الإسرائيلي هي الأقرب إلى نفسي وكياني. بهذا الحماس توصلت إلى هذه الشخصية الفذة!

| *هل يمكنك الجزم بأنك أسست نموذجاً جديداً للعربي الفلسطيني في الأدب الإسرائيلي المكتوب بالعبرية؟*

|| يشترك معي في ذلك بعض الكتّاب الذين لم يكونوا بحاجة لاستحضار شخصيات حدودية متسللة للكتابة عن العرب، أو لتصويرهم كالذئاب في الأحلام، كما عند عاموس عوز في رواية «عزيزي ميخائيل» المعروفة. كتب سامي ميخائيل أكثر من عمل أدبي بعض أبطاله عرب. له أكثر من رواية عن حيفا، وعن عربها. هو يعيش في حيفا، أو عاش فيها تلك الأيام، وأمكنه أن يفعل ذلك. كتب روايته «ملاذ» بهذه الروح.

| *يكتب الناقد حنان حيفر عن قصة لك في مجموعة «أمام السور» أن العربي يعبر حافة الرمز الجماعي الصهيوني كشريك متساوي الحقوق، لكنه ينوّه إلى أنك تفعل ذلك وتدخله*

إلى العائلة اليهودية محاذراً ألا تجعل من أصله القومي والطائفي المختلف سبباً في تشويش البنية الأساسية لهذه الدراما العائلية. وفي السياق يضيف أنك تقوم باستدخال العربي دون أن تكون لذلك أية دلالة قومية، وليس من الضرورة أن يؤدي حضور شخصية العربي إلى نشوء عنصر المجابهة القومية في عملك الإبداعي. ويخلص إلى القول أن الشرخ الحاصل في الرمز يقع على المستوى القومي الصهيوني. هل تتجنب مثل هذه المجابهة حقاً؟

|| قبل هذه المجموعة لم أكتب عن العرب حقاً. هناك تلميح لوجودهم، لكنهم لم يحضروا بصورة متكاملة. وردت سيرتهم هنا وهناك، بهذا الشكل أو ذاك. دون أن يظهروا. وعادة ما تم ذلك في سياق سلبي. عندما قررت الكتابة عن سعيد في «غرفة مغلقة» احترت كثيراً. كتبت وشطبت كثيراً، بضمير الغائب أولاً، وبالتالي قررت الكتابة بضمير الأنا المتكلم. تدرجت الشخصية في خيالي حتى احتلت مرتبة البطل الرئيسي الراوي الذي يتحدث عن مجتمعه من الداخل، ومن زاوية الرؤية العربية.

| *ألم تقع أسير القولبة التي تتجنبها كما تقول عندما جعلت بطل روايتك نادلاً وطالباً جامعياً وربما شخصاً عصامياً؟ كيف اكتسبت الشخصية مواصفاتها هذه لديك؟*

|| ما حاولت تقديمه، وربما خلافاً لكتّاب آخرين كتبوا عن العربي البسيط والمعدم والجاهل، هو شخصية العربي – الفلسطيني – الإسرائيلي المتعلم والعصامي، الذي عاش مراحل حياة شبيهة بحياة الكاتب نفسه، وتوقف حائراً أمام اسئلة الثقافة والهوية، وخاب أمله هنا ورضي هناك، لكنه احتفظ بعلاقات قريبة جداً من المجتمع الإسرائيلي واليهود، إلى جانب تميزه بهويته العربية الفلسطينية. وهو لا يفعل ذلك بالتخلي عن هويته هذه، رغم أنه خارجها. وخارج المجتمع الاسرائيلي أيضاً. ويقف على الهامش المزدوج كل الوقت، ويعبر عن شخصية «الأوت سايدر» الأزلية! إنه لا يملك خياراً مختلفاً، فهو واقع تحت ضغط الواقع المرير والمتواصل؛ من جهة يجابه إلحاحات هويته الفلسطينية، وانتماءه إلى شعب نصفه لاجىء، ومن جهة أخرى يجابه ضغط واقع الأقلية القومية التي ينتمي إليها. لذلك تتطور علاقاته اليهودية، ويقرر العيش بين اليهود.

|| *هل مرّ سعيد بتجربة مماثلة لتجربتك، ووجد ضآلته في الذوبان في المجتمع الجديد؟*

| نحن لم نذب في المجتمع الجديد، لأنه اشترط علينا شطب تاريخنا وذاكرتنا الجماعية والفردية. سعيد مضغوط من جميع الاتجاهات، ويحاول التصدي لذلك، والصمود. لذلك فهو سعيد بصموده. وإن كان يعاني. أحياناً يهرب لكتابة المذكرات، ويبتعد حتى باريس، بحثاً عن التوافق والانسجام مع البيئة، الذي يفتقده هنا. لكنه هنا يعيش واقعاً مختلفاً، وهو منقطع عن بيئته اليهودية. إنه يشبهني! ويشبه تلك الصورة في مخيلتي عن المثقف الفلسطيني. بعد روايتي عن سعيد صدرت روايتي «شتاء أخير»، التي تدور أحداثها في

باريس، بطلها هنري كوريل وعدد من المغتربين عن أوطانهم.

| *أبطال رواياتك المتأخرة مثقفون. هل بدأت تتحول إلى كتابة روايات أفكار، وتتخلى عن أسئلة الواقع بألسن أبطاله، لحساب السؤال الثقافي العام؟*

|| ذلك ليس مقصوراً على العرب فقط، بل يشمل اليهود وغيرهم. كتبت ذلك بوحي من مكوثي في باريس لدراسة الدكتوراه في السوربون، في مطلع السبعينات. منذ تلك الفترة وأنا أحرص على السفر كل صيف إلى باريس، ولي فيها أصدقاء عرب وأجانب كثيرون. في باريس لا وجود للفلسطيني أو العراقي اليهودي، بل هناك مغاربة وأفارقة وعرب آخرون. في روايتي «وهو الآخر» كتبت عن يهودي عراقي اعتنق الإسلام، وكذلك في بعض قصص مجموعتي القصصية «نذر الخريف» (صدرت عام ١٩٩٣ عن منشورات الجمل في ألمانيا، وقد كتبها المؤلف وصدرت بالعبرية أولاً، وترجمت للعربية، وقام ببعض الترجمة).

| *لنتحدث قليلاً عن الباحث الذي في داخلك. أبرز ما قدمته في هذا السياق بحثك المعروف في «الأدب العربي في ظل الحرب»، ومن قبل - بعض الدراسات والترجمات العربية، وفي العقد الأخير - ضمن دورية «الكرمل» الصادرة عن قسم اللغة العربية في جامعة حيفا، التي ترأس تحريرها حتى اليوم. بعد ذلك أصدرت مجموعة أبحاث بعنوان «الأدب العربي والتحديث الفكري» (صدر عن منشورات الجمل في ألمانيا في العام ١٩٩٣).*

|| كان ذلك بعد انشاء منظمة التحرير الفلسطينية والانطلاقة الأولى بعدة سنوات، بين الحربين: ٦٧ و ٧٣، والفترة القصيرة التي تلتهما. كان هناك اهتمام شعبي بما يجري في العالم العربي، وليس بالضرورة أكاديمي، وقد تجند الإعلام كلّه في هذه المهمة - التغلغل في الحاضر العربي الراهن، ومعرفته، والتصدي له. من جهته، لم ينجرف النقد الأدبي وراء هذه الأجواء، بل احتفظ بتعاطف معين مع النصوص العربية القادمة إلى العبرية. كذلك فإن المجتمع الاستهلاكي المتبلور هنا بدأ يطلب مثل هذه المواد. مرّ المجتمع بتغييرات كثيرة منذ ذلك الحين. أمكنني أن أحس ذلك التغيير، أستشعره وأعايشه. كنت ممثلاً له إلى حدّ معين. مع ذلك، كانت هناك محاولة لتجنب الخوض في أغوار القضايا المطروحة للجدل، وتجاهلها إلى حدٍّ معين. يمكنني أن أفعل ذلك كباحث، ولم أفعل، لكنني كأديب لا أنجح بالابتعاد عن مادة الواقع في بناء حيلتي الروائية. لذلك تعاملت المؤسسة الأدبية الإسرائيلية مع هذا النوع من الأدب المترجم ضمن توجهات عميقة جداً لسبر أغوار الخطاب العام، والمشاركة في الجدل الثقافي الواسع، الذي يرمي للقول إننا مجتمع طليعي يقوم ببناء شعب ودولة وثقافة ووطن الخ. تم بناء الأدب العبري جيلاً وراء جيل، وذلك يعود إلى أيام «مندلي بائع الكتب». وربما قبله، مروراً بجيل البلماح والدولة والحداثة الخ. في هذا الإطار نشأ أدب كنت جزءاً معزولاً ومحاصراً منه، مصادره قادمة من عالم آخر.

| *غرشون شكيد، أبرز مؤرخي الأدب العبري، يستثنيكم في خماسيته النقدية ويفرد لكم فصلاً خاصاً.. «جيتو» شرقي!*

|| لا أوافق على هذا التوجه، فهو يغمطنا حقنا كثيراً، وفيه استعلاء واستخفاف بانتاج الأدباء أبناء الطوائف اليهودية الشرقية. وقد حدد شكيد مكاننا في الهامش، لا لأننا كنا فيه، بل لأن المؤسسة الثقافية العبرية أرادتنا هناك. وعندما يكتب شكيد عن كتّاب عبريين آخرين، يعود إلى عدة الأدب، ويتحدث عن التيارات الأدبية والرؤية الفنية وما إلى ذلك. كان أدبنا مختلفاً بنظره، وهو يظل في الهامش، ولا ينضوي ضمن التيار المركزي في الأدب العبري المعاصر. حتى أنه يبتعد كثيراً عن مهامه كمؤرخ وناقد، ويتساءل: لماذا كان علينا أن نصبح شيوعيين ومؤيدين العرب؟! ويحاول ايجاد أسباب لحالتنا الثقافية الخاصة، بالقول إن ذلك ناجم عن انعدام المراعاة لنا من جانب المؤسسة الأشكنازية، لا أكثر. بل إنه يكتب بالتحديد أن شمعون بلاص وجد نفسه إلى جانب مضطهدين آخرين، يكتب عن حلف المقموعين، لأنه لم يجد نفسه في المجتمع الاشكنازي. هذا توجه عنصري تماماً، لأن تلك الفترة شهدت مجيء يهود من شرق أوروبا وغيرها، عاشوا مثلنا في «المعبروت»، وكانوا شيوعيين وكان طبيعياً أن يؤيدوا القضية الفلسطينية. لكنه لا يكتب أنهم يكتبون حلف المقموعين مثلنا، فهم بنظره يعبّرون عن موقف مبدئي. هذا هو كل الفرق!

| *لعل ذلك يفسر نظرة النقد الأدبي وليس الأكاديمي الإيجابية نحو الأدب العربي أو الأدب اليهودي – العربي. هناك فرق بين توجه الجامعة لدراسة هذا الأدب، التي ساعدت المؤسسة في صراعها مع «العدو»، وبين توجه النقد الأدبي العبري، الذي يخيل أنه أجاد فهم النص الإبداعي العربي المترجم إلى لغته. خذ كتابات حنان حيفر مثلا، وغيره من النقاد الذين كتبوا عن الأدب الفلسطيني.*

|| يمكن أن يكون ذلك صحيحاً بالنسبة للأدب العربي. النقد الأكاديمي العبري يتعامل مع الترجمات الأدبية العربية كوسيلة لمعرفة المجتمع العربي وثقافته وأفكاره. لا أكثر. وهو لم يهتم بمعرفة النص الإبداعي، قدر اهتمامه بمعرفة الشخصيات التي يقدمها، والمجتمع الذي يقف وراءها. حاول النقد الأكاديمي تسخير الإبداع لمعرفة العدو، لا أكثر! بحث عن كل شيء في النص، عدا النص نفسه. أما بالنسبة لموقف هذا النقد من نصوص الكتّاب اليهود العرب، فقد تعامل معها باعتبارها مختلفة، ولا تشكل جزءاً من المجموع الثقافي العبري في هذا المكان. لذلك وضعنا في الزاوية. لماذا؟ لأن الأدباء اليهود العرب حملوا خطاباً مختلفاً عن الخطاب الاشكنازي الصهيوني، وكانت هناك «حاجة» لوضعهم في ركن قصي. لكي يتدبروا أمرهم مع هذا الخطاب المرفوض الذي حملوه!

| *جوبهتم مراراً بتهم كثيرة، تبدأ بالتواطؤ مع المؤسسة السياسية الحاكمة في أبحاثكم*

الأكاديمية في الأدب والثقافة العربية، وقد تصل إلى الاتهام بالمشاركة في التخطيط لهذا التواطؤ، وتبنيه استراتيجية في التعامل مع العرب، والآخر، والمختلف؟ هناك مراكز شهيرة في الجامعات، جميعها للأبحاث الإستراتيجية في العرب. برز ذلك بين الحربين، بل كان وجوده صارخاً! هل تغير شيء في ذلك؟

|| الأمر متعلق بنوع الدوافع المتوفرة لدى المنظمات الاستخبارية الإسرائيلية التي يمكن أن تقف وراء بعض مؤسسات البحث الأكاديمي الشرقية. عن أي شيء تبحث؟ هذا كل ما في الأمر. أعتقد أنهم يبحثون عن تبريرات تسند موقفهم المعادي للعرب والشرق. كان ذلك في البدايات، ولا أقول أنه ما زال يحكم حتى اليوم. مؤكداً أن هناك مؤسسات كهذه التي تتحدث عنها، كل همها ايجاد سبل للتعامل مع المجتمعات العربية المختلفة. بالنسبة لبعضنا، يخيل أن السؤال الأهم هو ما إذا كان الباحث شريكاً في هذا «التواطؤ»، أم أنهم يستخدمون بحثه في تحقيق مآرب «ليست أدبية»؟! عموماً، فقد كان هناك اهتمام واسع بالأدب العربي والتاريخ الإسلامي قبل قيام إسرائيل، في الجامعة العبرية في الأساس. كذلك كان أوائل مترجمي الأدب العربي للعبرية من خريجي هذه الجامعة. توسعت دراسة اللغة العربية بعد قيام إسرائيل، وصارت تدرس في المدارس الثانوية اليهودية، وهي تشهد اقبالاً لا بأس به اليوم في الجامعات. لا يمكن اعتبار جميع الأبحاث الأكاديمية في الأدب العربي «استخبارية»، وليس كل الباحثين اليهود في الأدب العربي من نوع الأستاذ الراحل متتياهو بيلد، الذي توصل إلى رتبة عالية في الجيش وتخصص في الأدب العربي بعد انتقاله للحياة المدنية، وتسريحه من الجيش برتبة جنرال. طرأت لدى بيلد تحولات معروفة، فواصل دراسة الأدب العربي في الجامعة، وقدَّم أطروحة الدكتوراة في احدى الجامعات الأمريكية عن أدب نجيب محفوظ. ما حدث لبيلد بعد ذلك مؤشر على التأثير الإيجابي للاشتغال بالمادة، فقد عُيِّن استاذاً للأدب العربي في جامعة تل أبيب، وكان من أنشط العاملين في النضال المشترك مع العرب، ومن طلائع اليهود الذين أقاموا صلات بمنظمة التحرير الفلسطينية، وقد أنجز ترجمة رواية الأديب سليم بركات «فقهاء الظلام» قبل وفاته، وصدرت بالعبرية عن دار نشر معروفة، وحظيت باعجاب النقاد والقرّاء على السواء.

| في عام ١٩٧٨ نشرت كتابك «الأدب العربي في ظل الحرب». وقد أعطى صدوره دفعة أخرى لـ «الدراسات الشرقية» العبرية. كيف وجدت نفسك في بحر هذا الكمِّ الكبير من النصوص الإبداعية العربية، وآلاف العناوين القادمة من بين الحربين؟

|| من المفارقات المقرونة بهذه المادة أنني لم أبحث عنها في البداية. بل حدث ذلك بالصدفة. وصلت مع زوجتي في مستهل عام ١٩٧١ إلى باريس، حيث تلقت منحة لكتابة رسالة دكتوراه عن تاريخ الفنون في جامعة السوربون. كنت تعاقدت مع احدى الصحف الإسرائيلية اليومية على أن أكون مراسلها في باريس، وخلال عملي قابلت الأستاذ الراحل شارل بلا، الذي أفضى

الحديث المتشعب والمطوّل معه إلى عرض لكتابة أطروحة الدكتوراة في السوربون حول انعكاس الصراع العربي – الإسرائيلي في الأدب العربي، وبالتحديد بعد حرب حزيران ١٩٦٧. آثرت في البداية بحث «النكسة» في الأدب العربي، عبر نكبة ٤٨ وما تلاها. وتوصلت إلى أدب ١٩٧٣. كتبت صيغة البحث الأولى بالفرنسية.

| ***هل ساعدتك الكتابة بلغة ثالثة، والوقوف على أرضية محايدة، في أن تكون موضوعياً؟***

|| **لا أظن أن ذلك قد غيّر كثيراً، فأنا موضوعي وواقعي باستمرار!كباحث، وكإنسان، حتى لو كان اشتغالي بمادة «متفجرة» تبحث في أهم فترة شهدها تاريخ الصراع بين اليهود والعرب في القرن الحالي. في هذه المرحلة – بين الحربين – عاد الأديب العربي إلى نفسه، بعد أن حطمت النكسة البنية الأساسية للثقافة القومية العربية. وقف الأديب العربي أمام المرآة، محطماً ومحبطاً وهامشياً وبدون تأثير. صحا النص الإبداعي العربي على واقع كاذب وإعلام كاذب وسياسات كاذبة، سهّلت له مهمة القضاء على إسرائيل، وإعادة العدل المفقود إلى المنطقة بجرة قلم أو لعلعة إذاعة أو خطاب. من رحم هذه الصحوة ولد النص العربي الجديد، الذي تجاوز الواقعية التقليدية أو الرومانسية، ومضى في دروب البحث عن نص حداثي جديد، استأثر باهتمام النقاد في أكثر من مكان. بحثت في نصوص نجيب محفوظ وادوار الخراط ويوسف ادريس وزكريا تامر وابراهيم أصلان وعبد الرحمن الربيعي وغسان كنفاني ويوسف القعيد وسعد الله ونوس وغيرهم، وأبديت اهتماماً خاصاً بانتاج محمود المسعدي، وكتبت دراسة مطولة عن مسرحيته «السد»، التي اعتبرها عملاً طليعياً يكاد يكون فريداً في الأدب العربي المعاصر. وقف الأدب العربي أمام أسئلة تمس صميم علاقته بنفسه وبالآخر وبالسلطة، وقد طرح هذه الأسئلة بحنكة أكبر، وبذكاء، ولم يكن بحاجة للتعبير المباشر لإثارتها.**

| ***منذ ذلك الحين يتواصل اهتمامك في المراحل التالية بالأدب العربي، حتى يومنا هذا.***

|| **اعتقد أن مساهمتي الأهم كانت في عرض هذا الموضوع للنقاش بهذا الشكل الواسع على المجتمع الإسرائيلي. وقد واصلت الكتابة حول أدب ما بعد ٦٧ في مجلة «كيشت». عموماً، حاولت البحث عن التجديدات الأدبية في النص الابداعي العربي الجديد، والطليعي. لم أبحث عن الظاهرة قدر اهتمامي بالأصيل والحقيقي في هذا الابداع.**

| ***لو طلب منك اليوم عنونة ربع قرن من الكتابة الابداعية العربية، التي جاءت بعد كتابة*** **بحثك المذكور، فماذا تقول؟ كيف تصف هذا الانتاج اليوم؟ هل تتابعه؟**

|| **اهتمامي لم يعد منهجياً كما كان أثناء البحث. كان آخر مقال كتبته عن الراحل اميل حبيبي، نشرته في «الكرمل» الحيفاوية. متابعاتي اليوم ليست منتظمة، وبعد تقاعدي من الجامعة أجدني متفرغاً للابداع الشخصي أكثر من البحث في ابداعات الاخرين.**

| ***ولو طلب منك اصطحاب كتاب عربي وآخر عبري إلى جزيرة نائية، فأيها تختار؟***

|| **لن اتردد كثيراً في حمل رواية سليم بركات «فقهاء الظلام»، فهي عمل متكامل حسب**

جميع المواصفات، وفي ذلك فإنها رواية عالمية في كل شيء.

| *وماذا بشأن الكتاب العبري؟*

|| سأحمل في هذه الحالة أيضاً الترجمة العبرية لنفس الرواية، وسأقرأها بالعبرية!

| *في سياق الحديث عن الترجمة المتبادلة بين العبرية والعربية، لا أحد ينجح بالتحرر من الأبعاد السياسية لهذا العمل الثقافي المهم، وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالترجمات من العربية للعبرية. كيف تقيّم ما يتم عمله اليوم فوق هذا المسار؟*

|| ظلت الترجمة من العربية للعبرية محكومة لقوانين ومتطلبات السوق الثقافي الاستهلاكي إلى حدٍّ كبير، حتى أواسط الثمانينات. هناك فوضى اليوم، ومعظم ما يتم يقوم على أساس المبادرات الفردية، وليس بصورة منتظمة ومنهجية. خسارة أن الحال كذلك. هناك لزوم لترجمات مثابرة من اللغتين، وخسارة أن دور النشر العبرية لا تعرف الأدب العربي على حقيقته. الترجمة من العربية، بالمقابل، تبدو موجهة من جهتها الرسمية، وهي لا تتم إلاّ إذا بادرت المؤسسة الإسرائيلية لذلك. من هنا لا عجب إذا وجدتهم يعزفون عن ترجمتي للعربية. لم يحدث أن ترجم أديب يهودي عربي إلى العربية بمبادرة من المؤسسة. ولي في ذلك تجارب مؤلمة. لأنني ما زلت بنظرهم معادياً للاشكناز ونصيراً للعرب، وقد تمس مؤلفاتي بمشاعر القراء الاشكناز! هذا النوع من الادب لا يظهرونه للعالم، ويحاولون تجاهل وجوده.

| *اليوم، في مرحلة ما بعد الصهيونية، وما بعد الحداثة، أما زلت تشعر بأنك محيّد من الخطاب الثقافي والسياسي العام؟ أما زلت تعاني من هيمنة الخطاب الاشكنازي، الذي حدّ باستمرار من شراكتك في العملية السياسية وحال بينك وبين المساهمة في صنع السلام؟*

|| تطورت الهيمنة الاشكنازية وصارت أكثر ذكاءً. لكنني ما زلت أملك نفس الأسئلة، ولا أرى أي تطور إيجابي أو تبدل في التعامل مع حضوري الثقافي والأدبي والإنساني المختلف. لعل الدمج الحقيقي ما زال بحاجة لمزيد من الوقت، رغم ادعاء الكثيرين بأننا في مرحلة ما بعد الصهيونية. مشاكلي ما زالت نقس المشاكل، وأسئلتي باقية بدون إجابات. أحس بأنهم لا يريدون الإعتراف بذاكرتي الجماعية العربية، التي تربط قسماً كبيراً من اليهود العرب بالشرق، لمواصلة التنكر للذاكرة الجماعية الفلسطينية، القائمة حيالها على طرفي نقيض. اجمالاً، هناك انفتاح معين على هذه الحكاية لدى الأوساط المثقفة، اليسارية بالذات، لكنه انفتاح محصور لم يتغلغل للمدارس أو الحياة العادية أو وسائل الاعلام. قد يتطور ذلك إذا تبدل شيء على المسارات الإسرائيلية – العربية المنقطعة.

| *ساهمت في حوار يهودي عربي شهدته السنوات الأخيرة حول هوية «الآخر»*. من هو *الآخر بنظرك، اليهودي أم العربي؟*

|| كل واحد هو آخر بنظر غيره! بالنسبة لي، ما زلت أتساءل حتى اليوم: هل الآخر بالنسبة لي كيهودي هو العربي، أم أنه بالنسبة لي كعربي هو الاشكنازي؟

| *وهل توصلت إلى إجابة؟*

|| هذا سؤال مفتوح، وسيظل كذلك ما دمت أقف في مكاني، في المنطقة الحرام بين الثقافتين! رغم ذلك، فإنني أعترف بأنني بقيت مزدوج الهوية، وبأنني خرجت من ذلك سالماً حتى الآن.

باقة الغربية–المثلث